الازدواجية اللغوية في اللغة العربية

أفكار وتوصيات للمعلمين

تُعدّ اللغة العربية من اللغات التي تشهد ازدواجيةً لغويةً، إذ تُستخدم اللغة العربية الفصيحة في السياقات الرسمية؛ الصحف، المجلات، الكتب، الدراسة الأكاديمية، المخاطبات الرسمية، الأعمال،... وتُستخدم العامية (اللهجة المحلية) في التفاعل والتواصل الشفهي خارج السياق الرسمي في الحياة اليومية. ولذا فإنه من المرجّح أن يسبب وجود هذين المستويين اللغويين بعض التحديات لدى دارسي اللغة العربية وطلبتها من أبنائها. وبناء على حجم تلك الفجوة بين هذين المستويين (الفصيحة والعامية) يمكن تقدير الأثر على عمليتي التعليم والتعلّم.

وبشكل أدقّ يُمكن تفسير الانعكاسات المحتملة للازدواجية اللغوية على عمليتي التعليم والتعلّم باستخدام نموذج "النظرة البسيطة للقراءة" لفيليب غوف، حيث تشترط هذه النظرية وجود اثنتين من المهارات العليا لدى القارئ لكي يستطيع أن يكون قارئًا جيدًا، وهاتان المهارتان هما التهجئة (العلاقة بين الحروف والأصوات) وفهم اللغة (القدرة على فهم معاني الكلام)، وكلما كانت الفجوة أكبر بين الأصوات الفصيحة والعامية، وأكبر بين معاني المفردات والسياقات الفصيحة واليومية، كانت تحديات تعلّم اللغة أصعب وأكثر.

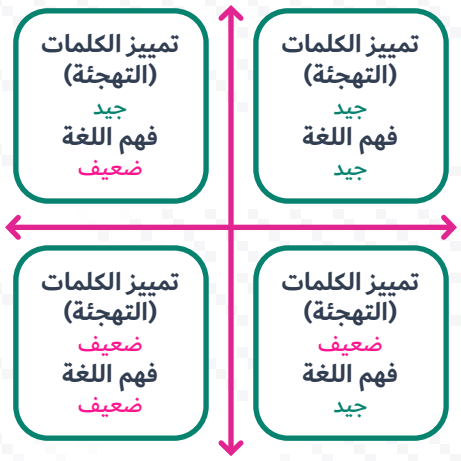

وبناءً على المخطط أعلاه، وحدهم الطلبة في الربع العلوي الأيمن سيتمكنون من التهجئة مع فهم ما يتهجؤونه، وسيواجه الطلبة ممن لا يميّزون الأصوات العربية الصحيحة صعوبات في التهجئة ولن يتمكنوا من الفهم. ولذا فإنه لا بد للمعلمين الانتباه للانعكاسات المحتملة جرّاء هذه الظاهرة – يختلف حجم الانعكاسات باختلاف الفجوة بين المحكية والفصيحة- واتخاذ بعض الإجراءات التي من شأنها أن تحد من تلك الآثار المحتملة.

وفيما يلي بعض الأفكار والتوصيات التي يمكن للمعلمين اللجوء إليها/ اتباعها:

1 **توظيف اللغة العربية الفصيحة في الأنشطة المدرسية المفيدة والممتعة.**
يمكن بإجراء بسيط لا يتطلّب كثيرًا من الجهد أو أيًا من التكاليف الإضافية، كالتحدّث بالعربية الفصيحة طوال وقت الدوام المدرسي، وفي جميع السياقات اليومية أن يصقل سليقة الطلبة بشكل تدريجي، ويعوّدهم سماع اللغة العربية الفصيحة وألفتها. وبشكل تلقائي سيبدأ الطلبة بمحاكاة ذلك ويكتسبون اللغة اكتسابا، عوضًا عن تعلّمها فقط، وهذا يجعل اللغة وسيلة مهمة وذات معنى بالنسبة إليهم. بالإضافة إلى ذلك يمكن للأنشطة المدرسية، كالإذاعة المدرسية، ومسابقات الإلقاء والخطابة، وتصميم لوحات الحائط/ الجداريات التي تحوي العبارات الإرشادية أو التشجيعية المكتوبة بأيدي الطلبة وباللغة العربية الفصيحة أن تقدّم نماذج مرئية للغة الفصيحة في سياقات معيشة وتعزّز استخدام الطلبة للغة الأم.

2 **اختيار الألفاظ الفصيحة المناسبة لعمر الطلبة ومستواهم اللغوي.**
من المهم أن يتحدّث المعلمون على اختلاف تخصصاتهم اللغة العربية الفصيحة مع الطلبة، فهم يقدّمون نموذجًا لغويًّا يحب الطلبة محاكاته، لكنّ الأهم في هذه المسألة هو أن يجيد المعلمون انتقاء الألفاظ والتراكيب التي تتناسب ومستوى الطلبة اللغوي، فعلى سبيل المثال للطاولة والمنضدة معنى واحد، غير أن الطاولة مألوفة والمنضدة لا، ونطق الأولى –أي الطاولة- أسهل وأيسر مقارنة مع الثانية، ولذا فإنه من الحكمة استخدام الطاولة مع الطلبة الصغار واستبعاد استخدام المنضدة، أو على الأقل تأجيل

استخدامها إلى حين تقدّم مستوى الطلبة اللغوي. وكذا الأمر مع الفعلين استيقظ وصحا، صحا يحوي حروفًا أقل، وينطق بشكل أسهل ويفيد المعنى ذاته، أو بالنسبة للتركيب (بالإضافة إلى) مقابل حرف العطف الواو، إذ يمكن التبديل بينهما غير أن الواو أسهل وأوضح بالنسبة للمتعلمين الصغار، ويمكن الانتقال للتركيب (بالإضافة إلى) مع تقدّم المستوى اللغوي .

وربما يجدر بالمعلمين التوقّف قليلا وسؤال أنفسهم قبل اختيار الكلمة/ التركيب:

- هل يمكن للطلبة نطق الكلمة/ التركيب بسهولة؟
- هل يعرف الطلبة معنى هذه الكلمة/ هذا التركيب؟
- هل توجد كلمات/ تراكيب بديلة أسهل تحمل المعنى ذاته؟

3 **قراءة المعلّمين أدبَ الأطفال للطلبة في المدرسة يوميًا.**

بالإضافة للآثار الإيجابية؛ الاجتماعية والنفسية والسلوكية التي يمكن للقراءة أن تتركها لدى الطلبة، والمتعة التي يشعرون بها في مثل هذه الأنشطة، فإن القراءة اليومية للطلبة، لا سيما للصغار منهم، تقدّم نموذجًا لغويًّا شائقًا وتصقل لغتهم وتكسبهم مفردات جديدة. وإذا ما أتبعت القراءة بأنشطة بسيطة، مثل طرح الأسئلة أو المناقشات المبنية على النصوص كما يحدث أثناء القراءة المشتركة أو الموجهة، أو عند تفسير المفردات، فإن الاستفادة تتنتقل من اكتساب المفردات إلى توظيفها، ومن سماع اللغة وألفتها إلى ممارستها، وهو ما نطمح إليه نهاية الأمر.

4 **تشجيع أولياء الأمور على تعريض أطفالهم للغة العربية الفصيحة في المنزل.**

يلعب أولياء الأمور دورًا هامًا وحاسمًا فيما يتعلّق باكتساب المهارات اللغوية لدى أبنائهم، فهم يقدّمون النموذج اللغوي الأول لهم، ويساعدونهم بما يقدمونه من دعم في المنزل على اكتساب اللغة الفصيحة، كتعريضهم لأدب الأطفال المكتوب بالعربية الفصيحة، وترديد الأناشيد والأغاني العربية وسماعها، أو تعريضهم إلى الرسوم المتحركة والألعاب اللوحية المنتجة بلغة عربية فصيحة عالية الجودة، على أن لا يتجاوز تعرّضهم للشاشات نصف ساعة يوميا -وفق التوصيات العالمية-. وقد أثبتت الأبحاث والدراسات وجود علاقة طردية بين مقدار مشاركة الوالدين في العمل مع أطفالهم على مهارات القرائية ونجاحهم أكاديميا. ووفقًا لما أشارت إليه الأدلة، فإنَّ ذلك يتحقق عندما تعمل المدرسة على إشراك أولياء الأمور بفاعلية، ويمكن القيام بذلك من خلال رفع دافعية الأهل ورغبتهم في المشاركة أولا، ثم رفع جاهزيتهم لمساعدة أبنائهم وبناء بعض القدرات والمهارات لديهم وتوفير بعض المصادر التي تسهّل عليهم دعم أبنائهم، الأمر الذي سيزيد من فرصة تعاون الأهل ومشاركتهم، بحيث ينعكس أثر كل هذا على الصفوف الدراسية وسيؤدي بالمحصلة إلى تحسّن تعلم الطلبة، بما في ذلك اكتساب اللغة الفصيحة الأم. <دليل المدارس لإشراك أولياء الأمور في دعم تعلّم القرائية>

5 **إدراك أن الازدواجية اللغوية سمة متأصلة من سمات اللغة العربية.**

إنّ كون اللغة العربية لغة ازدواجية لا يعني بالضرورة أنّ الازدواجية مسؤولة عن جميع الإخفاقات في تدريس العربية أو في تراجع استخدام أبنائها لها، بل على العكس قد تكون سمة تثري اللغة شأنها شأن اللغات الأخرى المتسمة بالازدواجية، وهي كذلك ليست بالضرورة عذرًا لممارسات التعليم والتعلّم السيئة. ينبغي إدراك هذا وتذكره دائمًا؛ للتركيز على ما نملك تغييره، إذ يمكن دائمًا النظر في آخر الأبحاث والمستجدات المتعلّقة بتدريس اللغات، للبحث عن الممارسات الفضلى والتدخلات التي يمكن أن تحدث أثرًا دون توجيه الجهود للقضاء على سمة لغوية متأصلة. <أدوات التعليم والتعلم>